الحب نبض البنفسج

هي والطبيب

قصص

رشا الحسيني

مجموعة قصصية

الحب من نبض البنفسج

هي و الطبيب

رشا الحسيني

الإهداء

القصة الأولى

يا الله! في قلبي بركان لا ينفجر، تنهيدة الخذلان تُسقطك من القلب الى ذاكرة النسيان، ومنها إلى العدم، ولن يعاد تدويرك مرة أخرى؛ لأنك مادة غير قابلة للتدوير،

إلى من خذلونا ..

لا تشرق الشمس في وقت سطوع القمر، ولا تحتج النجوم لتأخذ مكان الكواكب؛ لأن مزاجها اليوم متقلب، ولا تطوى الأرض طبقاتها السبع العظام حينما يكدرها البناؤون ليل نهار بآلات الحفر.

الكون في انسجام منذ أن خلق الله العالم، ليس كوناً مزاجياً متقلباً وإلا هلك الإنسان وبقية الكائنات، ولكنه هو بالنسبة لها هو الكون، ولكنه الوجه الآخر الذي اختلقته هي، متقلباً، مزاجياً حاداً.

نجم مضيء ينير طريقها نحو السعادة إذا تحدث معها وأظهر بعض الاهتمام، شمس حارقة إذا أهملها، قمر ينير الدنيا خلف نافذتها الوردية، وهي تراقب الزهرة التي أهداها إياها، وهو يناولها كشكول المحاضرات لمادة التشريح، ويوصيها

بالمذاكرة والانتهاء سريعاً من نسخ المحاضرات.

تتجول بعينيها الخضراء في أطراف الوردة الحمراء، وتحدثها هامسة:

– هل يحبني مثلما أحبه؟

لكنه غني وأنا فقيرة، لا أملك سوى بشرة بيضاء، وشعر أصفر، وعينين خضراوين، ودولاب من الملابس يئن من الفراغ والوحدة، خالٍ من دفء المعاطف الشتوية، دولاب خشن لا يعرف نعومة الحرير، ولا الأوشحة المطرزة بالماس والياقوت

مثل العديد من زميلاتنا في كلية الطب بجامعة القاهرة.

قدماي النحيلتان ترتجفان من البرد من تحت التنورة القصيرة التي أرتديها كل يوم، وأنا أسير ناحية محطة الأتوبيس، وهو يدخل الجامعة بعربته الحديثة مع زملائه، وقميصي الذي يواري نهدين غاضبين يغار أكثر مني حين أراه يتسامر مع هذه أو تلك من طالبات كليتنا العريقة.

حتى عندما رآني أصفع زميلاً لنا حاول التقرب ببذاءة، نظر إلي شذراً، ولم يهتم.

وعندما أعدت رواية المشهد عليه لأشهده عليه دافع عن ابن عشيرته الغنية، دافع عنه، واتهمني بأني بالغت في ردة الفعل.

ومرت الأيام، وحان وقت الحصاد، وتخرجنا في كلية الطب بجامعة القاهرة، وتخصصنا في النساء والتوليد بمستشفى قصر العيني، سواء بسواء، ولد على أيدينا عشرات الأطفال، وأنا أعاونه، وأراقبه بعينيَّ الخضروين كما كنت أراقب أوراق الوردة الحمراء، حتى ذبلت عيناي، وذبلت أوراق الوردة الحمراء.

حينما شاهدت احتفال الزملاء به، وهو يخنق إصبعه بدبلة خطوبته من زميلتنا في المستشفى، أحسست بأن تلك الدبلة المستديرة ماهي إلا عصبة من أغصان النخيل تحيط برقبتي لتخنقها.

ابتسامته الواسعة، وضحكته العالية، ما هما إلا تكبير لصلاة جنازتي.

مات قلبي وشيعت جنازته ذلك اليوم، ومنذ ذلك الوقت غادرت القاهرة إلى لندن.

غبت طويلاً، ولكني عدت محملة بشهادة الدكتوراة، وحينها وجدته وحيداً منفصلاً

عن زوجته، يسير وسط حديقة المستشفى، يبحث لي عن وردة يهديها إليَّ، ولكن هيهات!! فقد استبدلت رائحة الورود برائحة الاسترليني، بعد أن حققت نجاحاً عرفت من خلاله ألا أراهن على أشياء يدركها الذبول!!

❤□❤□❤□❤□❤□❤□

الذبيحة

ذهبت تجر قدميها، تتعكز على قلبها ماشية على خيوط الأمل المفقود، فتحت لها الممرضة، نظرت إليها وكأنها هي بذاتها رضوان خازن الجنة، سألتها وخفقات قلبها تتسارع من الخوف من عدم حضوره اليوم للعيادة، ردت عليها الممرضة بعبارة تؤكد حضوره.

جلست تنتظره وكأنها تنتظر رشفة ماء في يوم رمضاني شديد الحرارة، وهي تحدث

نفسها، وعيناها تحدقان في وجل في باب العيادة، تقول لنفسها:

– لن أعيد عليه كلمات الحب نفسها التي لم تمكنني من قلبه، بل مكنته هو من افتراس كرامتي بلا رحمة.

تقول، وهي ترجو قلبها أن يكف عن الضجيج، وتتذلل لعقلها أن يكف عن الصياح في وجه كرامتها المسلوبة، المسحولة على سطح مكتبه كل مرة، وهو

يجلس من خلفه، يرتدي الكمامة التي لا تسمح لها أن ترى سوى عينيه، اللتيين تعكسان شعاعهما داخل قلبها، فتثيران بها ذاك الجنون ، تلك الكمامة التي تخبئ ذاك الفم الذي لا ينطق سوى كلمة واحدة:

– نحن لا نصلح لنكون أحبابا أو حتى أصدقاء، ليس لدينا اهتمامات مشتركة، أنت معلمة وأنا طبيب، أنت كذا وأنا كذا.

يذهب بها إلى طريق مسدود، تخرج في كل مرة، بعد أن تكون أمضت وقتاً طويلا في ابتكار حيلة تتمارض بها لتذهب إليه، وهو يعلم أنها تتمارض، ولكنها بالفعل مريضة، فالمرض ليس في البدن، ولكنه الروح التي احتلت من طبيب يقتل قتلاً رحيماً، فهو لا يريد لها أن تحيا مشاعر مزيفة ووهماً يجرفها في تيار لا تعرف نهايته، أو أن تكون النهاية محطمة لها، لا

يريد أن يخدعها ويسلبها مشاعرها وشرفها في لعبة الحب والخداع، فلو صمت صوت قلبها واستمعت لتوسلات عقلها، لأدركت أنه يمثل الجانب المضئ لا الجانب المظلم، ربما يعنفها حتى تفيق، فهو يمضي وقته في مداعبة الأجساد الناعمة بآلات الجراحة الحادة؛ ليطبب الآلام الشديدة، ويقطب الجروح الغائرة؛ ليوقف النزف ويقتل الألم.

هو يريد لها أن تبحث عن الحب في قلب رقيق مثل قلبها، فقد اعتاد أن يعيش بلا قلب، بين غرف العمليات، ورائحة الدماء المنسكبة على أجساد مخدرة، سلمت نفسها لله بين يديه؛ ليكون سبباً في الشفاء.

جلست تفكر، حتى أحست بدقات الساعة تقترب من الثانية عشرة ظهراً، تقول لها الممرضة:

- اطمئني، سيأتي في الميعاد؛ لأن مواعيده منضبطة.

سألتها:

- لم دائما العيادة مرتبة ونظيفة فوق العادة؟

أجابتها الممرضة بأنها لم تر في حياتها أنظف من الدكتور.

ضحكت في نفسها وقالت، ألا يكفيني من أسباب الغرام حتى تزيديني أسباباً أيتها الممرضة، رجل منضبط ونظيف وأنيق وجميل وذكي، .يا ويلي !

وها قد دخل العيادة، لم ينظر ناحيتها وهي في غاية التأنق والجمال، ألقى السلام ودخل مكتبه.

حان الوقت لكي تدخل بدورها لحجرة الكشف، دخلت مبتسمة، فسخر منها قائلاً:

– تحملين التحاليل الطبية وتبتسمين، هل شفيتِ؟

وهي تبتسم لأنها خاضت حرباً حتى لا تعيش هذه اللحظة، وانهزمت فيها كل قواها العقلية، وما أحلى الهزيمة، إذا انتهت بالظفر برؤية من نحب.

جلست أمام المذبح، مكتبه الذي يذبحها ويسلخها عليه كل مرة، ويقدمها قرباناً لمن؟ لا تدري، ولكنها تكره تلك اللحظة

التي تعاتبه فيها على تجاهله لها، وعدم تجاوبه مع مشاعرها، فيأتيها الجواب:

- نحن لا نصلح لبعضنا البعض، نحن مختلفان.

في كل مرة يتكرر المشهد، بنفس السيناريو، وتخرج ذبيحة، وتعود مبتسمة، كخروف العيد ليلة العيد، وحولها أطفال مشاعرها القلبية المهترئة يلعبون، لا يدرون أنها ستذبح في مكتبه كل مرة، ألم

تشبعي من الذبح؟! لقد اعتاد هو رؤية الدماء، فهو جزارك الذي لا يكف عن الذبح أيتها الذبيحة، تباً لعيد تذبحين فيه على مذبح الحب!!!

❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤□

الثالثة ...

قطار بلا قضبان

تنفست الصعداء، بعد أن ركبت القطار الذي قادها إلى طريق طويل، تتخلله محطات خاوية من البشر، وكأن المدن ضجت بساكنيها، لفظتهم إلى مكان آخر، أو انفتحت هوة عميقة في الأرض فابتلعتهم، أو في السماء فحجبتهم عن الأعين المبصرة، أو ربما يكونون قد تحولوا إلى أجسام أثيرية محاطة بهالة كونية من الطاقة التي لا تستطيع هي أن تدركها، فهي لا تدرك سوى أن القطار يسير بلا قضبان، بل تستمتع هي بصوت الموسيقى العالمية التي تعزف في أنحاء القطار، وتتناول خبزاً دافئاً من مطبخ

القطار، وتشرب الحليب الساخن والقهوة الطازجة، بينما تقرأ قصص الحب التي تهوى قراءتها.

ويمضي الوقت سريعاً، والقطار يسير بلا قضبان، ماراً بمدينة تلو الأخرى من مدن الأرواح التائهة، والأشباح الهائمة، التي تحاول أن تدق الأجراس في كل محطة حتى تسمعها وتنتبه، لكن صوت الموسيقى مرتفع والإضاءة الخافتة الصفراء الرومانسية تحجب كل الضجيج خارج النوافذ، فالمتعة آسرة، ولذيذة هي القهوة والخبز الساخن، ولكن كلما زاد الجوع قل الخبز، وبردت القهوة، وخفتت الإضاءة

والتدفئة، وصمتت الموسيقى، ورأت هي الأشباح خارج القطار يصطفون صفين حولها في دائرة يحملون الشموع، بينما هي ملقاة على الأرض والكل يردد:

– ما أقسى هذا القطار الذي يدوس بعجلاته الحديدية القاسية سيدة جميلة، تحمل في يديها رسالة من حبيب لم يعرف قيمتها، فتركها تدهس من عجلات الزمن وقطار الأحلام!!

❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤

الرابعة ...

تتشابه الأرواح المحبة الودود معك وكأنها جميعاً خلقت من نطفة واحدة رغم الاختلاف.

الأرواح لغز من ألغاز الكون، يعترضها هذا السؤال وهي تتأمله من بعيد:

– لماذا أنت بالذات ؟

ألا يوجد عاقل في هذا العالم ليقنعني لماذا أنت بالذات ؟

ماذا فعلت حتى أُبتلى بهذا الحب الذي يسلبني روحي قطرة قطرة؟

ماذا يريد مني غير الحب؟

ولماذا يتجاهلني؟

أبعدما اعترف لي واعترفت له يتجاهلني؟

أيريد أكثر من الحب؟

ألا يعرف بوجود سنة الزواج؟!

ألم يشرع الزواج من أجل الحب؟

ألم يخلق الحب من أجل الزواج ؟

ولكن من يخبره؟

أنا لا استطيع أن أعرض عليه نفسي، لا، لا أستطيع، ربما يتركني لو طلبت ذلك، ربما يكون من هؤلاء الشباب الذين يخرجون من علاقة حب إلى علاقة أخرى دون زواج، ثم يعودون لبلادهم لتختار لهم

العمة والخالة بنت الحلال، وكأنني وغيري بنات الحرام!!

آه لو يعرف كم أحبه!!

لو يعرف أنني لم أحب في حياتي ولم أتمنَّ غيره؛ فهو بالنسبة لي روحي، وكأنني أنظر إلى نفسي، نفس العينان، الأنف، الشعر الكثيف الأسود، وكأننا خلقنا من نطفة واحدة، أحببت فيه والدته ووالده وإخوته وقبيلته الريفية، ولكني كرهت فيه ذلك التناقض الذميم الذي أحدثته فيه أخلاق الريف والرؤى الفلسفية التي درسها، أسمعه وهو يحلق في سماء المعارف التي تنادي باحترام الإنسانية والسعي للمعرفة،

ثم ينظر لي ليرى عشقي له سبة لا يريد أن تلتصق به، يختبئ من الناس، ويتلصص لكي يقابلني في حجرتي الصغيرة فوق سطح إحدى العمارات السكنية المجاورة له!!

ها قد أتى ليروي بمحبته قلبي بعدما جف النهر، أتى ليحرك الساكن في ضلوعي ويدخل من باب الحب إلى جنة وارفة، اختزنتها طيلة حياتي حتى أدمى شجرة الخلد، فسقطت الدماء على الفراش الأبيض، قطرات باللون الأحمر، كتبت بقلم الشهوة الزرقاء سطوراً سأظل أحفظها في ذاكرتي؛ لأنها هي المرة الأولى، ولكن

حبيبي كثير النسيان، كتب بقلمه كثيراً، وهو ينادي في الندوات بإطلاق الحريات للمرأة ومنها الحرية الجنسية، كان وقتها يلبس بريه الكتاب فوق رأس قد انسكبت بداخله عمامة أهل الريف!!

رفض الاعتراف بما نبت في أحشائي من أمطاره التي سقطت من سمائه التي غيمت حياتي، أدركتني الرعشة على سرير الولادة في مستشفى حكومي، بعد أن نقلني الجيران الذين رأفوا بحالتي المزرية، التي وصلت إليها بعد أن تخلى عني، وتركني ووليدي أجثو في طريق غامض.

الممرضة تقول للطبيب:

- الطفل ولد ميتا بلا روح.

وكأنه انتحر بداخلي اعتراضاً على الدخول من بوابة هذا العالم الزائف الكاذب، أبى أن يولد حتى لا يكون دليلا على جرم أبيه، تركني أواجه مصيري وحدي، تباً لك أيها الحب الأعمى، وتباً لضعف خلق بداخلي رغبة آنست رغبة في قلب فارغ وعقل جامح يستمر في استعراض الزيف.

الآن يزف هو إلى عروسه التي لا تعلم أنه قاتل الأمس، واليوم يسكن بيتاً جديداً بني على أنقاض جثتي.

❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤

الخامسة ...

(وعندما يريدون احتضارك..
قف باسماً وواجه الموت فيهم)

العائدون من الموت ...

قصتان متشابهتان خرجتا من عالم واحد هو عالمنا المادي، لتمتزجا معاً كمركب من مركبات الكيمياء في عالم روحي في زمن آخر ...

سارع الأطباء إلى استقبال حالتين من حالات الطوارئ، رجل وامرأة في العقد الثالث من العمر، الرأس متضرر، كسور وكدمات في أنحاء متفرقة من الجسم.

قام الأطباء بعمل العمليات اللازمة لهما في المخ، وتم وضعهما في العناية الفائقة، وعلى الوجه الآخر، يسير هو في أنحاء

المستشفى، يلمس السقف بيده، ينتقل جسمه من جدار لآخر فيتعجب، يصرخ في وجوه المارة فلا يسمعونه، ما هذا؟ طاقة نور تضئ من آخر الرواق، يضع يده على عينه من شدة الضوء، تخرج هي من بقعة الضوء، ملاك برئ، بيضاء، عيونها باسمة، وضعت يدها في يده، وقالت له:

– لا تخف.

قال لها: أتسمعينني؟

قالت له: نعم أسمعك

– من أنت؟

– أنا هالة من نور لهذا الجسم وأشارت إلى جسدها الذي تزدحم حوله الأسلاك الموصلة بالأجهزة الطبية، وأنت، ما اسمك؟

– يبدو أنني أيضا هالة لهذا الجسم، ما رأيك أن نستمتع بحياتنا هنا؟

– يبدو أن أهلك قد جاؤوا لزيارتك، أستأذنك

– لا، إلى اين، لا تذهبي، دعينا نراقب الأمر.

التفتا إلى الزائرين، وهم يتسائلون لا عن صحته، ولكن عن ثروته التي تجعل لعابهم

يسيل من ضخامتها، فهو طبيب مشهور ورث عن أبيه مستشفى كبيراً، هي نفس المستشفى التي هو فيها.

ربتت على كتفه؛ حتى لا يحزنه هؤلاء ومضت، لحقها مسرعاً ليلقي نظرة عليها وهي نائمة في غيبوبتها، وجدا عندها أبيها يلوم أمها على عدم إخباره بأن زوجها كان يضربها دائما ويهينها إلى درجة أنها خرجت مسرعة هاربة منه لتصاب في هذا الحادث.

ربت هو على كتفها وسارا معاً، ثم جلسا معاً على ترولي واحد وهما يتطلعان إلى المارة.

هو: ماذا لو عدنا للحياة ؟

هي: أنا لا أريد أن أعود.

– لو عدت، سأتزوج وأنجب، وأكف عن العبث مع الفتيات.

– كيف أعود، وأنا مباعة لحيوان سادي يلتذ بتعذيبي؟!

– عودي من أجل خلاصك يا سيدتي. أعدك أن أحميكِ منه، أعدك.

– لا أدري، دعنا نتفقد الآخرين.

– آخرون مثلنا؟

– نعم، الكثير مثلنا، تعالَ أعرفك عليهم، اسمهم العالقون.

دخلا معاً طاقة النور، فوجدا عالماً موازياً لعالمنا، عبارة عن نوافذ كثيرة، يطل منها كل واحد على عالمه.

هو: انظري، أليس هذا هو المغني العالمي؟

هي: حادث سير على طريق نيفادا، وهو الآن في غيبوبة.

– انظري أيضا أليست تلك هي ممثلة الإغراء؟

– محاولة انتحار فاشلة.

– لكنها لا تبدو فاتنة بدون مساحيق.

– يا دكتور، هنا الجميع بلا أقنعة، بلا مساحيق وبلا كذب، الأرواح لا تكذب، إنما نحن من نلوثها ونلقي عليها من نفايات العالم المادي.

– كم انت جميلة!!

– انظر، جاءك زوار.

التفتا ليجدا الكثير من الفتيات يتصارعن لدخول الغرفة، ولكن التمريض يمنعهن.

هي: فتياتك أيها الطبيب.

هو: جئن من أجل المال، كل واحدة تدعي أنها زوجتي، وتأتي بعقد مزور من أجل الميراث.

يلتفت الطبيب حوله فلا يجدها، اختفت من أمامه، يذهب لطاقة النور ليسأل عنها، يجيبه أحدهم:

- إنها عادت لحياتها، يبدو أنها أفاقت من الغيبوبة.

يصرخ الطبيب، أيتها الروح الجميلة أين أنتِ؟

وبينما هو عالق هناك في عالم الأرواح، شفيت هي، وذهبت إلى غرفته، وأمسكت يده، وأخذت تدعو الله أن يعود.

أحس هو بحرارة يدها على يده، وبدأ يسأل الله أن يعود، ويتمنى أن يحظى بقربها في الحياة الحقيقية، حتى عاد، أفاق على وجهها وابتسامة عينيها قائلاً لها:

– وجهك جميل بلا مساحيق، وضحكا معاً.

❤□❤□❤□❤□❤□❤

السادسة،

أبناء الكذب

معادلات القلوب لا تقاس بمقاييسك أنت، فلكل واحد منا مقياس خاص، من تميل له لأنك تحس بأنه يكملك، ربما يحس بأنك لا تكمله فلا تصح المعادلة معه، معادلات الحب مقبولة، ولكن الكذب إثم في مذهب العشق لا يغتفر.

الكذب هو رأس الخطايا، وفي مجتمعنا يصنعون منه مشارب ومآكل وهواء نتنفسه، وفناً وطرباً وكتباً، الكذب هو الأوحال التي تتسخ بها الروح.

بداية القصة:

لم أتخيل أنه دخان مسحوق الكذب الخام من عطارة جهنم.

لقد كتبتك في قلبي كذاباً، فخرجت من باب أغلقته خلفك، وبنيت سوراً من حديد.

هكذا أكتب لك، وقلبي يتفجر في خلاياه بركان يتنفس حمم الشوق الملتهبة التي عشتها معك كذباً وزوراً، كيف جعلتني أحبك وأنت تراني لا أجاوز علوك وارتفاعك ايها الهرم المثالي البناء؟!

كيف تقبلت مني هدايا وورورداً، وأنت تراني خادمة في قصرك المنيف وصرحك الملكي؟!

وكيف قبلت دموعي التي تهطل على شرفات منزلك، فتستمتع بها في ليل الشتاء الدافئ المطير؟!

كيف حاورتني، وغرست في قلبي زهرة عبيرك، فأزهر قلبي براعم تحمل رحيقك، ومنعت الاقتراب منها حتى خدشتها الأيدي الجائعة والألسنة الحادة؟

أنكرت أنك من غرست وزرعت، أنكرت أنني كنت لك أرضاً عفية، أنجبت لك

البنين والبنات، بعد أن شكوت من أرض هي لك بور جرداء، تذوقت طعم العسل في براعمي، وانقلبت علي كاليعسوب الأسود، ومن أجل من تنكر زواجنا وأبناء قلبك وقلبي؟

من أجل أن تظهر أمام الناس الزوج المثالي، الذي لا يرضى أن يدنس قداسة البيت، وحرمة الزواج العلني بزواج عرفي سري؟!

من أنت حتى تنزل علي سياط عذاب الندم على ما أعطيت بلا مقابل، وما ضحيت به من أجل سويعات وترحل؟

لقاءات مسروقة من عمر الزمن، رضيت منك بالقليل، فحملتني مما لا أطيق الكثير والكثير، أيها الكاذب.

ها هم أبناؤك .. أبناء الكذب!!

أنت الذي وصمتهم، لا هم من وصموك أيها الكاذب، هم ملائكة أبرياء لا ذنب لهم إلا أن يولدوا لأب متخاذل جبان.

❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤

السابعة ...

الطاووس

أعجبها الجنون الذي تعيشه، وهو مغمض العينين، أحدب المشاعر، أعمى الإحساس، إذا تحدث فانتظر منه حديث مسيلمة الكذاب، وإذا كتب لها رسالة نصية، تكاد تصاب هي بالغثيان من فرط الامتهان الذي يتعمده في معاملتها، ولكن إذا نظر في عينيها، أدركت أن بهما قطرات من مشاعر محتبسة، تكاد تفتك به من خلف نظارته السميكة.

المشاعر أسيرة مصلوبة على صليب العناد، فقد اعتاد أن يعلو صوت عقله على صوت القلب المسكين، من يدرك هذا القلب ويدخله حجرة الإنعاش؟ من أجله،

ومن أجل والدته التي تتمنى أن يحب ويتزوج، ومن أجلها هي طبيبة التخدير، وهو طبيب المخ والأعصاب العظيم، الذي حدثت على يديه المعجزات من المرضى الذين قد يئس الطب من شفائهم، ولكنه استطاع أن يكون سبباً في الشفاء.

في كل عملية هي بجواره، رفيقة نجاح ولكنه لا يعترف، فهو متطاوس مغرور، لكن لابد لهذا الغرور من وقفة، فهي قد أتمت الثلاثين، وأصر الزملاء في المستشفى على أن يحتفلوا بها، الاحتفال جميل ومبهج، كل أفراد القسم حاضرون، دعوه للمشاركة .. وليتهم ما دعوه!!

قال، وهو واضعٌ كلتا يديه في معطفه الأبيض:

- لما كل هذا؟! وما الداعي لهذا الاحتفال؟! لم أسمع أنها كتبت بحثاً نالت عنه جائزة، أو نشر في مجلة طبية مرموقة، حقا ما هذا السفه! ألم يكن أجدى لكم أن تراقبوا الحالات التي نخشى أن تغفو فلا تفيق، أو تفيق على ألم لا تستطيع معه النوم، فلتفضوا هذه المسرحية السخيفة فورا، الكل ينصرف لعمله.

أحست هي بوخزة في قلبها، وكأن حروفه تدفقت مرة واحدة كسهام يرميها عدو غادر، ولكنها أخذت طبقاً من الحلوى

وذهبت إليه مكتبه، وقفت على الباب مثل طفلة صغيرة تحمل لنفسها شمعة في طريق مظلم لا تدري آخره، أشار إليها بالجلوس، قال لها:

– ماذا تحملين في يديك؟

قالت: بعض السفه الطازج مسقياً ببعض العسل المبتذل والفاكهة الحمقاء.

ابتسم ابتسامة جميلة، أظهرت أسنانه التي يراهن عليها كل القسم أن يعرف أحد لونها، فهو دائم التجهم، مبدع في قسوته، ثم قال لها:

– كل عام وأنت بخير، ولكن لا تكرري هذا الفعل مرة أخرى، فنحن لسنا في مدرسة ابتدائية، نحن في حرم وقداسة، أفهمت؟

قالت:

– أعدك ألا يسعدني سوى تلك الابتسامة التي رأيتها ولدت منذ دقائق، فهي الميلاد الحقيقي.

وانصرفت من مكتبه، وهي متناسية ما حدث، على الرغم من ثرثرة جميع أفراد القسم عما أحدثه من إزعاج لهم جميعا ذلك المعقد القاسي.

وتمر الأيام صيفاً وشتاء، وشتاء وصيفاً، حتى تشتعل الحرب، حرب ٧٣ ويتأهب المستشفى لاستقبال الجرحى والمصابين، الكل على أهبة الاستعداد، الأقسام كلها شاغرة، الأطباء لا ينامون، الكل يجري وهو يحمل مصاباً يتوجه به للقسم المختص، الكل يطلب طبيبة التخدير، أصبحت لا تملك وقتاً للراحة أو التهام شئ من الطعام.

رآها تتحول لغول يلتهم الألم، ويصارع الوقت، ويتفانى في خدمة المرضى، حتى وقعت مغشياً عليها، فأمر لها بأن تذهب

لبيتها ترتاح عدة ساعات، ثم تعود، ولكنها أبت أن تغادر.

قالت: واجبي يبدأ هنا ولا ينتهي حتى تنتهي أنفاسي!!

رأى امرأة بكل ما في المعنى من حنان وقوة، أحبها واستسلم في تلك الحرب، لأن الانتصار في الحب هو الوجه الآخر للهزيمة...

❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤

الثامنة ...

أنا صنيعة من؟

صنيعة ما قرأت من كتب دينية وثقافية وأدبية؟

أم صناعة المجتمع الذي يهوى أن يدعو للمبادئ ولا يفعل غالبيتها؟

أم صناعة الأعراف التي لا تتغير ربما من عصر ما قبل الأديان السماوية؟

أم صناعة الموضات الحديثة التي ترى المرأة جسداً لبضاعتها، مثلها مثل التماثيل البلاستيكية المصنوعة للعرض فقط؟

أم صناعة رجال الدين الذين يحذرون الشباب من الكلام معي أو النظر لي وإلا ستكون العاقبة جهنم وبئس المصير، لكن

لا يرغبونهم في التعامل معي وأنا أحمل حملاً ثقيلاً فيساعدونني، أو وانا أسرق في وضح النهار فيهبون لإنقاذي أو السؤال عني وأنا مريضة ووحيدة، أو مساعدتي في كل الأحوال، بلا أي غرض أو مصلحة مادية أو معنوية؟

كل هذا جعلني أنتظره سبعة أعوام من الأمل الزائف، أكتب له كل يوم، أحثه على إتمام رسالتي الماجيستير والدكتوراة، والعودة سريعاً إليَّ، كم اشتقت له، ولنزهتنا الأسبوعية معاً!!

كنت أعد له طعاماً بسيطاً، كان يعتبره شيئا عظيماً، وعندما أهديت له في عيد

ميلاده بعض القمصان الجديدة، كاد أن يبكي فرحاً، فكل نقوده كانت تذهب للكتب؛ لأنه نهم دائما لشراء الكتب، كنت شريكة روحه وكفاحه، عاهدته ألا أتزوج إلا هو وأن أنتظره على الرغم مما حباني الله به من جمال باهر، انتظرته سبعة أعوام حتى حان موعد وصول الأستاذ الدكتور.

عندما أبصرته في المطار من بعيد، أحسست أن روحي ردت لي، كم يبدو أنيقاً جميلا ذا هيبة، أحسست أنه فارع الطول وكأنني أرى تمثالاً فرعونياً في معبد من المعابد القديمة.

ولم لا؟!

ولو كان المعنى الحقيقي للعبادة هو الحب فكأنه معبودي في هذه الحياة!!

فرحت كثيراً عندما لم أجد أحداً يرافقه، ولا وجدت غيري في انتظاره، كم راودتني أحلاماً بأنه قد تزوج من أجنبية وتركني، ولكن هيهات أيها الحلم، فعشقي أقوى منك.

وبدأت أتصل به ليقابلني فيعتذر متعللاً بانشغاله بترتيب أموره في الجامعة، وحتى يستقر، ويعد منزله الجديد وعالمه الجديد، وبدأت أشعر بأنني خدعت نفسي بانتظاره كل هذه المدة، هل يخطئني قلبي؟

هل عشت في زيف وكذب طيلة حياتي؟

فهو يمثل كل حياتي، لم أحب غيره وهو قد أصبح غير مبالٍ.

حتى صارحني بأنه لا ينوي الزواج مطلقاً، لا مني ولا من غيري؛ لأنه التحق بجماعة هناك، تعهد أمامها بعدم الزواج، وفي سبيل ذلك يقدمون له تمويلاً ضخماً من أجل أبحاثه.

لغته تغيرت، ملامحه الجميلة أصبحت في نظري شيطانية، حتى أناقته أضحت مصطنعة، فهو صنيعة أُولياء نعمته الذين

يسلبونه حريته وعبقريته في مقابل دولارات عفنة!!

وأنا صنيعة من؟

لا أدري.

صنيعة عرفٍ يقول المرأة ليس لها سوى رجل وبيت يضمها جدرانه حتى تختنق أضلاعها بداخله؟

أم صنيعة الدين الذي يوصينا بالعهد والوعود بألا ننكثها؟

ألم يكن حبنا وعداً بالزواج؟

وانتظاري .. ألم يكن هو الإيجاب والقبول؟ ربما نحن صنيعة أنفسنا فقط، حالة خاصة.

❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤

التاسعة ...

مونولوج، أنا وعقلي

في سنابل عينيه ينبت في قلبي حبٌ أحمق،

يزرعني في قلب أجدب فور شروق أتمزق

ماذا تنتظرين يا نفسي؟

ألم تكتبي الشعر من أجله هو؟

ألم تكتحل عيناك بالسواد وأنت تنتظرين الفارس؟

الفارس!!

كيف أطلقتِ عليه لفظ فارس، وهو لم يمتطِ في حياته سوى صهوة قلبك؟!

كلا، ليس فارساً واحداً، إنهم فرسان، فرسان الهيكل!!

أي هيكل؟!

أمجنونة أنت؟

أنت الهيكل، كيان بائس منعدم الرأي والمشيئة.

مشيئة؟! أيه مشئية؟

أنت تريدين الحب، وهم يريدون الجسد، الجسد.

الجسد؟! أي جسد؟

مساكين، لا يعلمون أنني لا أملك هذا الجسد.

فهو ملك له.

من ؟ من هو ... هو !

هو من اشتراني من أبي ليلة الزفاف.

الزفاف؟ أي زفاف؟!

أليس هو ذلك اليوم المنتظر منذ الطفولة المبكرة ونساء قريتي يرتبن لهذا اليوم؟!

اليوم؟!

أي يوم؟!

يمر ثلاثون عاما على ذلك اليوم، حيث رأيت وجهي في مرآة الدنيا مجرد جسد بلا روح ... آلة للتناسل، آلة للخدمة، آلة لتلقي الصدمات ثم الآن ..

ماذا الآن؟

الآن آلة للفرار من هذا العالم.

أي عالم؟!

عالم يتغذى على الكذب والرذيلة.

لا يرى المرأة سوى عار ملفوف في خرق ملونة، أو حلوى مستورة أو مكشوفة لا يهم، المهم أنها قابلة للقضم بأسنان حادة.

يلتهمونها وهم يشربون القهوة ويدخنون السجائر.

السجائر ؟!

وهل نمثل لهم سوى زفرات التبغ الملعون، يعشقونه ولكنه يدمرهم على المدى البعيد.

البعد !

البعد لا يسبب لي سوى هذا الاختناق الذي يحدث لرئة مسرطنة، وفي حالة متأخرة من المرض.

المرض؟!

أنت ذلك المرض الرابض في شراييني.

الشريان؟!

أنت .. أنت .. تسكن في ذاك الشريان، تختال يمنيا ويساراً.

وانا لا أملك إيقافك .. نحن نحتاج إلى طبيب.

طبيب؟!

كيف أحتاج إلى طبيب وأنت طبيبي؟

كيف ؟

وهنا وقف الكيبورد يفكر معي في الجملة التالية.

كيف؟

كيف يخرج الإنسان من أسر مخلوق اسمه الحب

❤□❤□❤□❤□❤□❤□❤

قصة الختام ...

الآن سيدخل الغرفة ليطمئن ويكتب التقرير اليومي لحالتي:

الاسم: هيام يونس.

الحالة: مصابة بكسر في الحوض.

الدواء: أسماء كثيرة لا أعرفها.

إمضاء، أجمل من رأت عيني من أطباء.

هيام يونس هي من كتبت لكم كل تلك القصص القصيرة، والتي تلاحظون أن بطلها دائما طبيب، كتبتها لكم من وحي وجودي في المستشفى التي ساقني القدر إليه، حيث أصبت في حادث سير، وجئت إلى هنا، حيث رأيته، وأصبح هو محور

الكون، وحيث إننا لم نتحدث مطلقاً إلا فيما يتعلق بحالتي الصحية، وأنا كاتبة وأدبية فقد صنعت هذا العالم الخيالي، الذي يسير فيه الطبيب في وجوه متعددة، وأنا كذلك أسير معه بوجوه مختلفة، أتعذب وأشتاق، أفرح فرحة زائفة يوماً وحقيقية يوماً آخر، المهم أن يكون هو حاضراً بقوة.

هو مُلهم من نوع جديد، أرجو ألا تغضبوا مني يا معشر الأطباء، فلو كان شعر بي، ربما ما كتبت لكم هي والطبيب، وربما أظهرت لكم بعض ما لديكم من نبل وأخلاق وإنسانية!!

لكنه القدر!!

أرجو أن تخبروه بأن يترفق بي، ولا ينساني عندما أرحل، سأترك لكم هذه المذكرة وبها كل القصص التي كتبت، ربما تلهمه هو أن يسأل عني يوماً ما لأخبره كم أحبه، وفي الختام أشكركم على حسن عنايتكم بجسدي الضعيف، سلاماً

الأديبة /هيام أحمد

الفهرس

القصة الأولى ٥

الذبيحة ١٣

الثالثة ٢٥

الرابعة ٢٩

الخامسة ٣٧

أبناء الكذب ٤٧

الطاووس ٥٣

صنيعة من ٦١

أنا وعقلى ٦٩

قصة الختام ٧٧